الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه كشف الشبهات:

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، وَهَذَا الْالْتِجَاءُ إِلِيهِمْ، وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ. فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تقِرُّ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ للهِ؟ فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُ: بَيِّنْ لِي هَذَا الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ، وَهُوَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ للهِ وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ. فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْعِبَادَةَ وَلَا أَنْوَاعَهَا، فَبَيِّنْهَا لَهُ بِقَوْلِكَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[الأعراف:٥٥]، فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهَذَا، فَقُلْ لَهُ: هَلْ عَلِمْتَ هَذَا عِبَادَةً للهِ؟ فَلَابُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ، وَالدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ. فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهَا عِبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ اللهَ لَيْلًا وَنَهَارًا خَوْفًا وَطَمَعًا، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الْحَاجَةِ نَبِيًّا أَوْ غَيْرَهُ، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ؟ فَلَابُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ. فَقُلْ لَهُ: فَإِذَا عَمِلْتَ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر:٢]، وَأَطَعْتَ اللهَ وَنَحَرْتَ لَهُ هَلْ هَذِهِ عِبَادَةٌ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُ: فإن نَحَرْتَ لِمَخْلُوقٍ نَبِيٍّ أَوْ جِنِّيٍّ أَوْ غَيْرِهِمَا هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ غَيْرَ اللهِ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يُقِرَّ وَيَقُولَ: نَعَمْ. وَقُلْ لَهُ أَيْضًا: الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ، هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَاللَّاتَ وَغَيْرَ ذَلِكَ؟ فَلَابُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ. فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ وَالذَّبْحِ وَالْالْتِجَاءِ وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ قَهْرِهِ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ؛ وَلَكِنْ دَعَوْهُمْ وَالْتَجَئُوا إِلَيْهِمْ لِلْجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًّا.

****

هذه شبهة يطرحها المشبِّه الذي ابتُليَ بعبادة غير الله تبارك وتعالى من حجر أو شجر أو ولي أو غير ذلك، وسبق أن ذكر الشيخ رحمه الله تعالى ثلاث شُبهٍ، ذكر أنها هي أكبر ما عند القوم من الشبهات التي يطرحونها مخاصمةً منهم للتوحيد ومعاندةً منهم للحق، والشبَه الثلاثة التي بدأ رحمه الله بذكرها والإجابة عنها تتلخص في:

- الشبهة الأولى: زعمهم انتفاء الشرك مع الإقرار بتوحيد الربوبية، وسبق أن أجاب الشيخ رحمه الله عن هذه الشبهة ووجّه رحمه الله بأن يُتلى عليهم من آي القرآن ما يكشف ذلك ويزيله ، وسبق أيضا البيان أن الآيات التي تُتلى عليه في هذا الباب نوعان من الآيات:

أولا: الآيات التي تُبيّن أنّ المشركين كانوا يقرّون بتوحيد الربوبية، وأن هذا التوحيد وحده والإقرار به لا يكفي ولا يُنجي، لا يكفي في حصول التوحيد، ولا ينجي من عذاب الله تبارك وتعالى يوم القيامة.

والنوع الثاني: من الآيات التي تتلى عليهم هي الآيات التي تقرر توحيد العبادة وإخلاص الدّين لله تبارك وتعالى.

- والشبهة الثانية: حصرهم الشرك في عبادة الأصنام؛ عندما يُخاصَمون أو يُنتقدون في عبادتهم لغير الله سبحانه وتعالى يزعم بعضهم أن الشرك محصور في عبادة الأصنام، وسبق أيضا جواب الشيخ على ذلك، ومن أجوبته على ذلك: أن تتلو عليه الآيات التي تقرّر أنّ المشركين الأُوَل منهم من عبَد الأصنام ، ومنهم من عبد الملائكة ، ومنهم من عبد الأنبياء ، ومنهم من عبد الأولياء ، ومنهم من عبد غير ذلك.
- والشبهة الثالثة: زعمهم أن الكفار الأُوَل كانوا يريدون ممّن يدعونهم وأنه لا يريد منهم إلا الشفاعة، ومضى أيضًا الجواب على هذه الشبهة وأن هذا هو عين فعل المشركين ، فإنهم كانوا يتخذون الأنداد والوسطاء لا يريدون منهم إلا الشفاعة: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر:٣] ، وفي الآية الأخرى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾[يونس:١٨] .

فهذا ملخص ما مرّ معنا من شبهاتِ ثلاث وأجوبة الشيخ رحمه الله عن ذلك مختصرًا.

ثم ذكر هذه الشبهة لهم وأجاب عنها من وجهين؛ أجاب عنها أوّلاً بجواب وافٍ كافٍ في الإقناع وإقامة الحجة، ثم بعد ذلك ذكر جوابًا آخر على هذه الشبهة وهو جواب قوي ، وهذه أيضا من طريقة الشيخ رحمه الله في هذا الكتاب؛ من طريقته رحمه الله تعالى في هذا الكتاب أنه يجيب على الشبهة بما هو كافٍ في كشفها وبيان زيفها ووهائها، ثم يعيد الكرّة بجوابٍ آخر، وهو يشير بهذا إلى أن شُبَه القوم يمكن كشف زيفها من وجوه كثيرة؛ فيكون ذكره للوجه أو الوجهين أو الثلاثة في هذا المختصر تنبيهًا منه رحمه الله أن كشف مثل هذه الشبهات يكون من وجوه عديدة وبأجوبة متنوعة سديدة.

قال رحمه الله: «**فَإِنْ قَالَ لك: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، وَهَذَا الْالْتِجَاءُ إِليهِمْ وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ**» هذه الشبهة؛ إذا قال أنا لا أعبد إلا الله، معنى "لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ" : أي أن عبادتي كلها لله خالصة لا أجعل معه شريكًا في شيءٍ منها، هذا زعمٌ يزعمه ودعوى يدّعيها، والدعوى لابد أن يُقَام عليها البيّنة، فمن يدّعي أنّه لا يعبد إلا الله فإنه يجب عليه أن يكون كذلك حقًّا وصدقًا؛ قول القائل: لا إله إلا الله هذه معاهدةٌ وعهدٌ وميثاق أن يُوَحِّد الله سبحانه وتعالى في العبادة وأن يُخلص لله تبارك وتعالى الدين، لا أعبد إلا الله: أي أخلص الدين كلّه لله ولا أجعل مع الله شريكًا في شيء من ذلك، وهذا هو معنى «لا اله إلا الله»؛ لكن بعض من يقول هذه الكلمة «لا إله إلا ال»له أو أيضا هذه الكلمة بهذا اللفظ الذي ساقه الشيخ عنهم "أنا لا أعبد إلا الله" يقولها ولا يعرف حقيقة معناها، فبعضهم يقول «لا إله إلا الله» وهو لا يعرف ما نفته هذه الكلمة ولا يعرف ما أثبتته، لا يعرف الشرك الذي نفته هذه الكلمة، ولا يعرف الإخلاص والتوحيد الذي أثبتته هذه الكلمة ؛ ولهذا بعضهم يقول «لا إله إلا الله» ويُثبت ما نفت وينفي ما أثبتت ، مناقضًا لهذه الكلمة ومُراغمًا لما دلت عليه من التوحيد والبراءة من الشرك والخُلُوص منه.

فإذًا قول القائل من هؤلاء "أنا لا أعبد إلا الله" ؛ هذه دعوى لا تكفي بحد ذاتها حتى يقيم عليها برهانًا من حاله وواقع أمره بأن يقيم وجهه لله تبارك وتعالى مخلصًا، فلا يجعل مع الله تبارك وتعالى شريكًا في شيءٍ من العبادة.

ومن يقول: "لا أعبد إلا الله" يُفْترض فيه ليكون صادقًا في دعواه أن يكون على علمٍ بحقيقة العبادة التي قال عن نفسه أنه لا يصرفها لغير الله، "لا أعبد إلا الله" أي لا أصرف شيئًا من العبادة لغير الله تبارك وتعالى، فإذا كان من يقول "لا أعبد إلا الله" يصرف شيئًا من العبادة لغير الله؛ فيكون بحثك معه وكشفك لخطئه بالطريقة التي ستأتي عند المصنف رحمه الله في جوابه لهذه الشبهة، ألا وهو: أن تبحث معه في حقيقة العبادة وأن تعرّفه بحقيقتها؛ ليتضح له أن في أفعاله ما هو مناقضٌ لقوله ودعواه ، بسبب عدم فهمه لحقيقة العبادة التي ادَّعى بقوله أنه لا يصرف شيئًا منها لغير الله تبارك وتعالى. يقول: "أنا لا أعبد إلا الله" أي لا أصرف شيئا من العبادة إلا لله تبارك وتعالى، هذا الكلام توحيد؛ لكنه من هؤلاء دعوى لا يصدِّقها واقع حال هؤلاء؛ ولهذا أنظر ماذا يقول بعد قوله لهذه الكلمة ؛ «**يقول "أنا لا أعبد إلا الله" وَهَذَا الْالْتِجَاءُ إِلَيهِمْ، وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ**»، إذًا هو يلتجئ لغير الله ويدعو غير الله، ويُخرج الالتجاء إلى غير الله ودعاء غير الله تبارك وتعالى من مفهوم العبادة، ويزعم أنه ليس داخلًا في العبادة. فمثل هذه الشبهة إذا طرحها أحد هؤلاء كيف يكون جوابك له وكشفك لشبهته؟

يقول الشيخ رحمه الله تعالى: «**فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تقِرُّ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ للهِ؟**» تقر بذلك؟ ماذا سيقول؟ هو بين أحد جوابين: إما أن يقول "نعم أنا أقرّ بإخلاص العبادة لله تبارك وتعالى"، وللكلام معه حينئذ مجال. أو يقول: "لا، أنا لا أقر بإخلاص العبادة لله تبارك وتعالى، وأنه يجوز أن يُصرَف شيءٌ من العبادة لغيره تبارك وتعالى"، فهذا أيضا للكلام معه مجال آخر؛ وهو أن عدم إقراره بإخلاص العبادة لله نقضٌ لقوله: "أنا لا أعبد إلا الله".

فيقول: «**إذا قلت له أنت تقرّ أن الله افترض عليك إخلاص العبادة لله فإذا قال : نعم**» ، أي نعم أنا أقر بأن الله افترض عليّ إخلاص العبادة له ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥] ويقول جل وعلا: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣] ومعنى الخالص: الصافي النقي ، ومعنى إخلاص العبادة لله : أن يُفرد وحده تبارك وتعالى بالعبادة فلا يُجعل معه شريك في شيء منها ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨] ؛ هذا هو معنى الإخلاص في العبادة أن تُجعل العبادة كلها لله ، والخالص: هو الصافي النقي ، فتكون العبادة من العابد صافية نقية لم يرِد بها ولا بشيء منها إلا الله سبحانه وتعالى .

فتبدأ معه الحديث بقولك : هل تقر بأن الله افترض عليك إخلاص العبادة لله ؟ ويمكن أن تتلو عليه بعض الآيات: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥] ، ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣] ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦] تقر بذلك؛ أن العبادة حق لله و أنها يجب أن تخلص له تبارك وتعالى وأن لا يصرف شيء منها لغيره ، تقر بذلك ؟ فإذا قال لك نعم ؛ تنتقل معه إلى بيان حقيقة العبادة .

ولاحظ هنا يقرر الشيخ رحمه الله طريقة بديعة جدًا في مناقشة الخصم وإلزامه إلزامات قوية لا مفر له منها ، فهنا أتى الشيخ رحمه الله في جوابه للخصم من شيء يقر به الخصم ، إذا قال لك نعم معناه فيه قاعدة يقر بها الخصم وتكون منطلق لك في مناقشته ، وهذا الذي طرحه الشيخ لا يمكن للخصم أن يرفضه أو ينفيه ، عندما تقول له هل تقر بأن العبادة يجب أن تخلص لله وأن الله افترض علينا إخلاصها له وتقرأ عليه ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ما يقول لك أنا لا أقر بذلك ، بل في الغالب والله تعالى أعلم أنه سيقول نعم أنا أقر ، فإذًا أصبح بينك وبينه أمر يقر به فتنطلق من خلاله لإقامة الحجة عليه وإزالة الشبهة عنه .

«**فقل له : بيّن لي هذا الذي فرضه الله عليك ، وهو إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك**» طالبه أن يبيّن لك هذه العبادة التي هو يقر بأن الله افترض عليه أن يخلصها له ، قل له إن عرَّفت العبادة وبيّنت لي حقيقتها فمعرفتك بها وبحقيقتها هو الذي في ضوئه يمكن أن نعرف إمكانية الإخلاص من عدمه ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، وكيف يتحقق منه أن يخلص لله وهو لا يعرف هذا الشيء الذي سوف يخلصه أو يجعله خالصا لله!! فإذًا تبحث معه حينئذ في حقيقة العبادة.

قال : «**فقل له بيّن لي هذا الذي فرضه الله عليك وهو إخلاص العبادة لله ، وهو حقه عليك**» ؛ "فرضه الله عليك وهو إخلاص العبادة" هذا دليله ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ، وقوله "وهو حقه عليك" دليله حديث معاذ ((أتدري يا معاذ ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟)) والحديث معروف وهو في الصحيحين ، ومنه سمى رحمه الله تعالى كتابه «التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» .

قال : «**فإنه لا يعرف العبادة و لا أنواعها**» ، لو قلت له بيّن لي العبادة ، عرّف العبادة ، ما هي العبادة ؟ ستجد أنه لا يعرف العبادة ، إمّا أن يعرِّفها تعريفًا خاطئا ، أو أن يعرِّفها تعريفا ناقصا ، أو أنه سوف يخرج في تعريفه لها ما هو داخل في حقيقتها مثل ما هو واضح في كلامه كلام الخصم "أنا لا أعبد إلا الله و الالتجاء ليس عبادة" ، فسترى فيه خللا في هذا الجانب وهو فهم معنى العبادة . فما هي الطريقة التي تناقشه فيها من أجل إلزامه ؟ لأنه لاحظ الآن قال لك: "أنا ألتجأ إلى غير الله ، أدعو غير الله وهذا الالتجاء وهذا الدعاء ليس عبادة" ، أنت من خلال هذا عرفت أن مفهوم العبادة عنده فيه خلل ، فأنت تبدأ –مثل ما سيوضح لك الشيخ رحمه الله– تبدأ تناقشه في هذا تقول به بيّن لي معنى العبادة ، أول ما تبدأ معه في مناقشته في هذه الشبهة بعد أن تقرّره في هذا الأصل وهو أن الله افترض علينا إخلاص العبادة له وأنها حقٌّ لله سبحانه وتعالى على العباد ، يقول نعم أقرّ بذلك ، قل له : ما هي العبادة ؟ وسترى في جوابه الخلل ، أو ربما لا يجيب ، بعضهم لو تقول له ما هي العبادة؟ ما يحسن أن يجيب ، ما يحسن أن يأتي بكلمة واحدة ، وخاصة الجهال والعوام ما يحسن أن يأتي بأي كلمة ، وبعضهم ربما أنه يأتي بجواب ناقص بحيث أنه يخرج من مفهوم العبادة ما هو داخل فيها . فالشيخ رحمه الله

عنده طريقة هنا عظيمة وعجيبة جدًا في تفهيمه لمعنى العبادة ؛ أن تبدأ معه في بيان للعبادة من خلال بعض أفراد العبادة التي تعلم أنت مسبقا أنه يصرفها لغير الله تبارك وتعالى ، أو يصرف شيئا منها لغير الله. فتبدأ تبحث معه بهذه الطريقة .

يقول الشيخ : «**فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها ، فبيّن له بقولك: قال الله تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾** [الأعراف:٥٥]»؛ لماذا أتى الشيخ بهذه الآية ؟ لأنها دليلٌ صريحٌ واضح بيّن أن الدعاء عبادة ، وهو قبل قليل قال لك "دعاؤهم ليس بعبادة" ، فأنت تأتي بآيات صريحة في أن الدعاء عبادة ؛﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ هذا واضح أن الدعاء عبادة من جهة أمر الله سبحانه و تعالى به ، ودلالة الآية على حبه لأهل الدعاء المخلصين له ورضاه عنهم قال﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ؛ مفهوم الآية أن من يدعو الله مخلصا له سبحانه وتعالى يحبه الله جل وعلا لأنه يقوم بطاعة عظيمة ، وفي الحديث ((ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء))، وفي الحديث الآخر ((من لم يسأل الله يغضب عليه)) ، فالله سبحانه و تعالى يحب الدعاء ويحب عباده الداعين، والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

ولك أيضا أن تتلو عليه آيات أخرى في الباب مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾[غافر:٦٠] سمى الله عز وجل الدعاء عبادة ، ولهذا لما قال نبينا عليه الصلاة والسلام على المنبر كما في حديث النعمان بن بشير في السنن وفي المسند قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول : ((إن الدعاء هو العبادة)) وتلا قول الله جل وعلا ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ . أيضا قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾[الأحقاف:٦٠] فسمى تبارك وتعالى الدعاء عبادة ، والأدلة على هذا المعنى كثيرة .

فأنت أورد له الآيات ، وكلما جمعت له أكبر قدر من الآيات فهذا فيه شفاء بإذن الله تبارك وتعالى إن كتب الله له هدايةً ، ولهذا تحرص على أن تأتي له بعدد من الآيات التي تقرر ذلك ، مثل قوله : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[الإسراء:٥٦-٥٧] ، وقوله ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا

﴿ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ [فاطر:١٣-١٤] سمى جل وعلا صرف الدعاء لغيره شركًا ، أيضا قوله ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [سبأ:٢٢] ، وقوله ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ آيات كثيرة في هذا المعنى . اقرأ عليه ما يتيسّر لك من الآيات التي تحفظها في هذا الباب .

وأذكر مرة قصة سمعها مني غالب الأخوة ؛ رجل عربي جمعني به جلوسي في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام وكان جالسا عن يساري ورافعًا يديه يدعو ، وأنا كنت أقرأ في القرآن فكان رافعًا يديه يدعو وأخذ يبكي بكاءً مؤثرا ، ثم سمعته يرفع صوته في الدعاء يا رسول الله يا رسول الله ويناجي ، كان بكاؤه ومناجاته دعاء للرسول عليه الصلاة والسلام ، فالتفتُ عليه وأخذت أسأله عدة أسئلة؛ عن بلده وعن صحته وعن أولاده وأنا مبتسم وأسأله أسئلة عديدة أريد أن يلتفت إليّ ويصغي إلى ما أقول ، وفي الغالب أن الابتسامة والملاينة والملاطفة ما تجعل من أمامك ينفر من كلامك ، وهذا الشيء مجرب ومعروف ، فأسأله عن سفره لعلك ما تعبت اعتمرت أو لم تعتمر إلى آخره الأسئلة المعروفة ، ثم قلت له الدعاء أمر عظيم وإذا كان الإنسان يدعو ويبكي هذا أعظم وأعظم ، عندما يخشع الإنسان في دعائه ويناجي ويلح ، وبدأت أذكر أدلة في فضل الدعاء ومكانة الدعاء ؛ فوافقت هذه الأشياء حاجة في نفسه ، هو عنده طلبات ورغبات فاستدار ، كان معطيني جنبه وكان يريد أن يتخلص مني حتى يستمر فاستدار، ثم انتقلت معه إلى ذكر الآيات التي تقرّر أن الدعاء عبادة وأنها حق لله سبحانه وتعالى ، أوضح له إياه باختصار شديد ، فذكرت له آيات كثيرة جدا ، ثم انتقلت من الآيات إلى الأحاديث مثل ((إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله)) ، و كان عليه الصلاة والسلام إذا أتي له بمريض قال: ((اللهم رب الناس أذهب البأس واشف أنت الشافي)) ، وذكرت له شيء من أدعيته هو عليه الصلاة والسلام ومناجاته لله وأشياء من هذا القبيل ، لما انتهيت قل له : فهمت هذا الكلام ؟ واضح لك ؟ قال : نعم ، قلت له : ما رأيك ؟ السؤال فيه شيء من الخطأ لكني متقصد لهذا السؤال قلت له ما رأيك ؟ قال لي كلام ذكَّرني بكلامٍ للشافعي رحمه الله قال لي : تقرأ عليّ آيات وأحاديث وتقول لي ما رأيك ؟ أنا ذكرني كلامه هذا بكلام للشافعي رحمه الله أن سائلًا مرة سأله عن مسألة فذكر الشافعي رحمه الله حديثا فقال ما رأيك ؟ فغضب رحمه الله قال: "هل رأيتني خارجا من كنيسة ؟ هل رأيت الصليب على صدري ؟ هل رأيت زجاجة الخمر في يدي ؟ أقول لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول ما رأيك!!" فهذا الرجل ذكرني والله بكلمة الشافعي رحمه الله تعالى ، قلت له معذرة أنا سمعتك في دعائك تقول كذا وكذا وكذا، ولهذا قلت لك ما رأيك ؟ لأن هذا الدعاء يدل على أن فيه رأي مخالف لهذه الآيات وهذه الأحاديث ، فماذا قال لي ؟ قال لي كلام مؤلم جدًا ، قال أنا من بلد كذا -وسمى لي بلده- وما أحد قال لي الكلام هذا ، يعني منذ نشأ ومن حوله أئمة ضلال زينوا له دعاء غير الله ولبَّسوا عليه وشبَّهوا عليه

ونشأ على هذه الحال يدعو غير الله ويستغيث بغير الله ويستنجد بغير الله ، ولما تليت عليه آيات القرآن وبُيّنت له ووُضح له معناها قبِلها بكل ارتياح وكل طمأنينة.

فيقول الشيخ رحمه الله : «**فبيّنها له بقولك قال الله تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ فإذا أعلمته بهذا**»؛ انتبه لهذه الكلمة «فإذا أعلمته بهذا» ، إذا أعلمته أي إذا بينت له وفهَّمته ووضحت له أن الدعاء عبادة وأنه حقٌ لله وتلوتَ عليه من الآيات ما تقيم عليه بها الحجة ، وواحدة من هذه الآيات كافية في ذلك مثل ما قرر الشيخ رحمه الله اكتفى بآية واحدة .

«**فإذا أعلمته بهذا فقل له : هل علمت هذا عبادة لله ؟**» هل علمت هذا أي الدعاء عبادة لله ؟ أي يجب إخلاصها له وأن لا يجعل معه شريك فيها ؟

«**فلابد أن يقول نعم**» إن قال لك لا في هذا المقام ، فقوله لا في هذا المقام مصادمة صريحة لكلام الله سبحانه وتعالى وللآيات البينات والحجج الواضحات ، فلابد أن يقول نعم ، والدعاء مخ العبادة أي خالصها ، كما قال نبينا عليه الصلاة و السلام ((الدعاء هو العبادة)) أي خالص العبادة ولب العبادة .

«**فقل له :إذا أقررت أنها عبادة** –إذا أقررت بأن الدعاء عبادة يجب أن تُخلص لله ، إذا أقررت بذلك – **ودعوت الله ليلا و نهارًا خوفًا و طمعا ثم دعوت في تلك الحاجة نبيًّا أو غيره ، هل أشركت في عبادة الله غيره أو لا ؟ لابد أن يقول نعم**» مثل لو قلت له : لو أقررت أن السجود عبادة وسجدت لله وأقمت السجود لله وحصل منك السجود في الليل و النهار ، لكنك سجدت أيضا لغير الله ، ماذا يكون عملك هذا ؟ فإذا أقررت أن الدعاء عبادة وأن العبادة حقٌ خالص لله ودعوت الله ليلا ونهارا ثم دعوت مع الله غيره تكون بذلك جعلت مع الله شريكا ، ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ أي لا تجعلوا مع الله شريكًا .

قال : «**إذا أقررت أنها عبادة و دعوت الله ليلا و نهارًا خوفًا و طمعا ثم دعوت في تلك الحاجة نبيّا أو غيره ، هل أشركت في عبادة الله غيره ؟ فلابد أن يقول نعم**» ، هذا الآن تعريف للعبادة واستدلالٌ على هذا التعريف بالقرآن بذكر فردٍ من أفرادها ، فلابد أن يقول نعم . لك حينئذ أن تتلو عليه بعض الآيات التي تنهى عن الشرك ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [النحل:٥١] ، ما دمت تقر أن الدعاء عبادة و أنها حق لله فلا تجعل إلهين ، لا تتخذ معبودَين ، الله عز وجل تدعوه وأيضا نبيا أو وليّا أو غير ذلك تدعوه مع الله جل وعلا ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ أي معبود واحد ، يجب أن يصرف له وحده تبارك وتعالى العبادة بجميع أنواعها.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعريف للعبادة آخر بذكر فرد من أفرادها وهو النحر ، والنحر عبادة وقربة لله كما يدل على ذلك الآية التي ذكر ، وأيضا قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢]

قال : «**فقل له فإذا عملت بقول الله تعالى ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾** [الكوثر:٢] **وأطعت الله ونحرت له ، هل هذا عبادة؟ فلابد أن يقول نعم**» ، اقرأ عليه ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ ، قرأ عليه ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وقل له لو اشتريت إليك ذبيحة وجئت وقلت "بسم الله" وذبحتها متقربا بها إلى الله وأكلت منها و تصدقت ، هذا العمل عبادة أو ليس عبادة ؟ والله أمرك به ، قال ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ أي لربك، وضم ذكر النحر إلى ذكر الصلاة ، فكما أنه لا يجوز أن تصلي إلا لله ، لا تسجد ولا تركع إلا له فكذلك لا يجوز أن تذبح أو تنحر إلا له تبارك و تعالى . والنحر أعظم العبادات المالية.

قال : «**فإذا عملت بقول الله تعالى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة ؟ فلابد أن يقول نعم ، فقل له فإن نحرت إلى مخلوق نبي أو جني أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ لابد أن يقر ويقول نعم**» ؛ إن لم يقل نعم ناقض هذه الآيات البينات . أيضا العبادات الأخرى ، ونضرب بمثال ثالث إضافة إلى ما ذكر الشيخ وهي عبادة الالتجاء ، لأن السائل أو المخالِف يقول "وهذا الالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس عبادة" ، الالتجاء عبادة وهو طلب عون من الله ، اللجوء إلى الله عبادة يُطلب فيها عون الله سبحانه و تعالى ، اللجوء إلى الله فرار إلى الله ؛ وهذه عبادة ، وقد جاء في حديث البراء في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم المسلم الدعاء الذي يقوله عندما يأوي إلى فراشه لينام : ((اللهم إني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وألجأت ظهري إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت)) ؛ هذا دعاءٌ علَّمه النبي صلى الله عليه وسلم أمته وكان يقوله إذا أوى إلى فراشه ، هو نفسه عليه الصلاة والسلام يقول ((لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك)) ، ما معنى لا ملجأ إلا إلى الله ؟ هذا توحيد ، لا ملجأ إلا إلى الله : أي ليس هناك من يُلجأ إليه ويُعتمد عليه ويتوكل إليه ويفوض الأمر إليه إلا الله ، فقوله «لا ملجأ و لا منجا منك إلا إليك» هذا توحيد ، ضده ما هو ؟ هذا الذي يقوله القائل "واللجوء ليس عبادة" هذا مناقضة لقول النبي صلى الله عليه وسلم المتكرر كل ليلة عندما يأوي إلى فراشه ((لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك)) ، وإذا كان يلتجئ إلى النبي عليه الصلاة والسلام لك أن تقول له : هذا الذي تلتجئ إليه كل ليلة إذا أوى إلى فراشه يقول ((لا ملجأ و لا منجا منك إلا إليك)) يخلص اللجوء إلى الله ؛ فكيف تجعل من يخلص لجوءه إلى الله ندًا لله تلجأ إليه!! فاللجوء عبادة لا يجوز أن يصرف إلا لله تبارك وتعالى . ولهذا ينبغي أن تلاحظ في مثل هذه الأجوبة أن

تكون أنت مرتبط بالقرآن والحديث ، تقرأ عليه الآيات والأحاديث التي تكشف ضلال هؤلاء وتبيّن زيف شبهاتهم .

قال : «**وقل له**» ، الآن الجواب الذي مضى هذا جواب مقنع وكافي في إزالة الشبهة ، لكن أعاد الكرة بجواب آخر مسدّد في كشفها ، وهو ينبهك هنا ينبّه طالب العلم أن كشف الشبهات متيسّر و متهيؤٌ لمن ارتبط بالقرآن من خلال وجوه كثيرة و أجوبة عديدة .

قال: «**وقل له أيضا : المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلابد أن يقول نعم**» ، إن قال لك "لا" ماذا تفعل ؟ الشيخ يقول لابد أن يقول نعم ، إن قال لك لا لم يكونوا يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين ماذا تصنع ؟ تقرأ عليه الآيات التي قريبًا ذكرها الشيخ رحمه الله وتقرر أن المشركين الأوَل منهم من كان يعبد الملائكة ومنهم من كان يعبد الأنبياء ومنهم من كان يعبد الصالحين .

فيقول الشيخ : «**قل له هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ لابد أن يقول نعم ، فقل له حينئذ قل له هل كانت عبادتهم إياهم هل كانت إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك ؟ وإلا فهم مقرون أنهم عبيده**» ، افرض أنك قلت له هل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك وقال "لا لم تكن عبادتهم في الدعاء" ماذا تصنع ؟ تقرأ عليه الآيات التي تدل دلالة واضحة صريحة أن عبادتهم لهم كانت في الدعاء وكانت أيضا في الذبح وكانت أيضا في الالتجاء ، اقرأ عليه الآيات التي تقرر ذلك ، مثل ما مر معنا ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ، ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ اقرأ عليه هذه الآيات وهي صريحة أن من ضمن العبادات التي كانوا يصرفونها لغير الله الدعاء ، ومن ضمن العبادات التي كانوا يصرفونها لغير الله الذ، بح كانوا يذبحون لله ويذبحون لغير الله ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام:١٣٦] ، فكانوا يذبحون لله ويذبحون أيضا لغير الله ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: ((لعن الله من ذبح لغير الله)) ، فتقرأ عليه الآيات التي تدل أن هؤلاء كانوا يعبدون غير الله بالدعاء ويعبدون غير الله بالذبح ويعبدون غير الله بالالتجاء .

يقول الشيخ : «**فقل له : هل كانت عبادتهم إياهم إلا بالدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك؟**» هو بين إما أن يقول لك نعم ، أو يقول لا ، إن قال "نعم" خصمته بذلك وكشفت باطله ، و إن قال "لا" فإنك تقرأ عليه من الآيات ما أشرت إلى بعضه .

قال : «**فقل له هل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك؟ وإلا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهره** »؛ وإلا فهم أي المشركون الأُول مقرون أنهم عبيده ؛ ما معنى هذه الكلمة ؟ المشركون الأُول

مقرون أنهم عبيد الله ، العبودية لله نوعان : عبودية لربوبيته وعبودية لألوهيته . فقوله "مقرون أنهم عبيده" أي لربوبية الله ؛ بمعنى أنه ربهم خالقهم رازقهم محييهم مميتهم المتصرف فيهم ، مقرون بذلك ، يقرون أنهم عبيد لله أي مماليك له، بل يقرون أن من يعبدونهم من دون الله أيضا مماليك لله وعبيد له ، مثل ما في تلبيتهم «لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك» ، تملكه أي مملوك لك تحت قهرك وتصرفك وتدبيرك ، تملكه وما ملك ؛ فيقرون أنهم عبيد لله وتحت قهر الله ، ويقرون أن من يدعونهم من دون الله أيضا كذلك عبيد لله وتحت قهره جل وعلا . «**وإلا فهم مقرون أنهم عبيده**» العبودية هنا للربوبية ، وليس المراد بها العبودية لألوهيته في مثل قوله ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان:٦٣] وإنما المراد بعبيده هنا في مثل قوله ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣] أي ذليلًا خاضعًا لله .

قال : «**وإلا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهره وأن الله هو الذي يدبر الأمر**» هذا الإقرار مقرون أنهم عبيده وتحت قهره وأن الله هو الذي يدبر الأمر ؛ هذا الإقرار هو توحيد الربوبية الذي كان يقر به المشركون لكن عرفنا أنه لا يكفي ولا ينجي ، ما معنى لا يكفي ولا ينجي ؟ لا يكفي في كون العبد موحدًا ، ولا ينجي أي من النار وعذاب الله سبحانه وتعالى ، فهو لا يكفي ليكون به العبد موحدًا ، ولا ينجي أيضا من عذاب الله جل وعلا يوم القيامة ، وإلا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهره وأن الله هو الذي يدبر الأمر .

«**ولكن دعوهم و التجؤوا إليهم للجاه والشفاعة**» ، ولكن دعوهم أي المشركون الأُول دعوا هذه الأصنام والتجؤوا إليها من أجل ماذا ؟ للجاه والشفاعة ؛ وهذا ظاهر جدًا من حالهم ، فإذًا ما الفرق بين حال هذا الذي يقول "أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعبادة" ، ما الفرق بين حاله وبين حال المشركين الأُول؟!!

فإذًا بكلٍ من هذين الجوابين انكشفت هذه الشبهة وزال وظهر عوارها.

قال رحمه الله تعالى :

فإن قال أتنكر شفاعةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وتتبرأُ منها ؟ فقل : لا أُنكرها ولا أتبرأ منها. بل هو صلى الله عليه وسلم الشافع المشفَّع ، وأرجو شفاعته ، ولكن الشفاعة كلها لله تعالى كما قال تعالى :﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾ [الزمر:٤٤]، ولا تكون إلا من بعد إذن الله كما قال تعالى :﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ولا يُشفع في أحدٍ إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء:٢٨] ، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى : ﴿

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[آل عمران: ٨٥]. **فإذا كانت الشفاعة كلُها لله ، ولا تكون إلا من بعد إذنه ، ولا يشفع النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن الله إلا لأهل التوحيد ؛ تبين لك : أن الشفاعة كلَها لله ، وأطلبها منه فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفّعه في ، وأمثال هذا .**

****

ثم ذكر رحمه الله تعالى شبهه اخرى لهؤلاء : «**فإن قال انتكر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتبرأ منها؟ فقل : لا انكرها ولا اتبرأ منها ، بل هو الشافع المشفّع وأرجو شفاعته**» ؛ هذه الان شبهه اخرى للقوم .

أريد أن أنبه هنا قبل الدخول في هذه الشبهة والجواب عليها إلى أمرين:

❖ الأمر الأول : الشيخ رحمه الله يذكر لك هذه الشبهات بعد المقدمات التي نفعك الله سبحانه وتعالى بها على افتراض أن تُطرح عليك أو يُطرح عليك قريب منها ، لكن لا يلزم أن يطرح عليك كل واحد من هؤلاء المبتلين بهذا الباطل مثل هذه الشبهات ؛ فكثير منهم يكون دخل في الباطل وليس في ذهنه عندما دخل هذا الباطل إلا شبهه أو شبهتين أدخلته في الباطل، وبعضهم ممتلئ بالشبهات ؛ ولهذا من يقع في هذا الباطل بعضهم عنده شبهة شبهتين ثلاث أدخلته في الباطل ، فإذا كشفتها عنه زال عنه الاشتباه. وبعضهم يكون ممتلئ بشبهات كثيرة؛ فمثل هذا ربما يستمر معك في المناقشة وقتًا اطول إلى أن ينقطع. أما بعض هؤلاء فجواب أو جوابين مما مر كافي بإذن الله إلى حصول الاقتناع والرجوع إلى الحق والهدى. لكن طالب العلم يحتاج أن يكون مسلح بهذا العلم الرصين والكلام المتين ، حتى في أي حال من الاحوال يكون عنده نفَس في كشف شبهات القوم.

وإذا ضبطتَ هذا الكتاب بإذن الله ضبطًا متقنا تستطيع بإذن الله أن تجيب على جُل الشبهات التي يطرحها هؤلاء لأنها إما أن يكون وضعها مجرد اختلاف العبارة وطريقة الطرح ، أو اشياء من هذا القبيل . فالشيخ يذكر لك هذه الأنواع ويجيب عليها لتكون سلاحًا لك ، ولا يلزم من ذلك أن كل من تلقاه ممن يقع في هذا الشرك أن يكون على معرفه بهذه الشبهات. ولهذا بعضهم كما ذكرت لك عنده شبهة أو شبهتين أو ثلاث أو أربع وينتهي كل ما عنده من شبهات ، فإذا أزلتها بمثل هذه الحجج البينة اتضح له الحق. وبعضهم عنده شبهات أكثر ، وبعضهم معاند ومكابر يعرف أن الذي عندك هو الحق لكنه لا يقبله منك ؛ إما خشيه ضياع رئاسة أو ضياع جاه او ضياع أشياء من هذا القبيل ، لا يلزم من ذلك أن يكون الأمر مشتبهًا عليه. فإذًا مراد الشيخ أن تكون مسلحاً ، لا يلزم كما قلت لك أن كل من تلقاه من هؤلاء عنده مثل هذه الشبهات بمثل هذا الكم أو بمثل هذا العدد.

❖ الأمر الثاني مما أنبه إليه : هو ارتباط الشيخ رحمه الله الواضح بكتاب الله عز وجل وبسنة النبي عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا تراه في كشف الشبهات كل ما يأتي به من كشفٍ لشبهة يأت بآيات ؛ آية أو ايتين كافيه في إزالة الشبهة ، وهذا من علاج الأمراض التي تكون في الناس بالقران، والله عز وجل وصف القران بأنه شفاء؛

شفاء لكل الأمراض ، وأعظم الأمراض الشرك ، والقرآن شفاء ، ولهذا يحتاج هؤلاء أن يداووا ويعالجوا بالقران الكريم ، تُقرا عليهم الآيات وتبين لهم معانيها وتوضح ولعل الله سبحانه وتعالى يجعل فيها شفاء لأمراض هؤلاء.

قال: «**فإن قال : أتنكر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتبرأ منها؟**» وهذه طريقه معروفه عند هؤلاء أنهم يحاولون إظهار الشناعة والتشنيع على أهل التوحيد ، فيأتي في مثل هذا المقام ويقول : أنت تنكر شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام ! أو ربما قال لك : أنت تنكر جاهه ومكانته عند الله! أو ربما قال لك : أنت تنكر فضل الأولياء ومكانة الأولياء عند الله ومنزلة الاولياء عند الله! ربما يقول لك هذا الكلام ؛ فبماذا تجيبه؟

قال : «**فإن قال: أتنكر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتبرأ منها!** » معنى تتبرأ منها : تقول إنني أبرأ من كون النبي صلى الله عليه وسلم شفيعا؛ هل تنكرها وتتبرأ منها ؟

«**فقل لا أنكرها ولا أتبرأ منها**»؛ لا ينكر الشفاعة إلا ضُلَّال الخلق ، ولا ينكر أن النبي عليه الصلاة والسلام إلا الكفار من اليهود والنصارى أو ضُلال الفرق المبطلة ، أهل الضلال والباطل. قل لا أنكرها ، وإذا تريد أن أقرا عليك من الآيات والأحاديث التي تقرر كونه عليه الصلاة والسلام شفيعًا قرأت عليك مما تعرفه وما لا تعرفه ، تريد أن اذكر لك من الآيات التي تثبت أنه عليه الصلاة والسلام شفيعا وأنه أُعطي الشفاعة وأنه الشافع المشفَّع ؟ هذا أمرٌ لا ينكره من يعرف القرآن والسنة ، ولا يتبرأ منه من يعرف القران والسنة ، وحاشا أن ننكر أنه عليه الصلاة والسلام شفيعًا. هم بهذا نوع من المغالطة لإظهار الشناعة على أهل الحق. "تنكر الشفاعة!"

هو عندما يقول لك : تنكر الشفاعة يقولها لماذا؟ لأن مفهومه للشفاعة مفهوم خاطئ. ولما رآك لا تفهم الشفاعة على فهمه هو للشفاعة أظهر الشناعة بقوله "تنكر الشفاعة!" ؛ ما الذي يفهمه هو من الشفاعة ؟ يفهم من الشفاعة المعنى الذي أنكره الله على المشركين ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨] الذي يفهمه من الشفاعة هو هذا المعنى: اتخاذ الأنداد من الأنبياء أو الأولياء أو الملائكة ودعاؤهم وسؤالهم وإذا قيل له لماذا ؟ يقول : هؤلاء شفعاء لنا عند الله وسطاء لنا عند الله يقربونا إلى الله سبحانه وتعالى. فلما كان مفهومه للشفاعة مغلوطًا قال هذه المقالة «تنكر الشفاعة وتتبرأ منها؟ » .

«**فقل له : أنا لا أنكر الشفاعة ولا أتبرأ منها**» بل الشفاعة ثابتة وحق وأثبتها الله سبحانه وتعالى في القرآن ، وأثبتها النبي عليه الصلاة والسلام في السنة ، وهو عليه الصلاة السلام أعطي الشفاعة ، وهو أعظم شافع صلى الله عليه وسلم ، وهو الشافع المشفّع صلوات الله وسلامه عليه ، فلا أنكر ذلك ، وله الشفاعة العظمى يوم القيامة ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] ، وله شفاعات اختص بها ؛ يشفع لأهل الجنة في أن يدخلوا الجنة ، وله شفاعاتٌ يشاركه فيها الانبياء والملائكة والصالحين ، لا أنكر ذلك ؛ ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ﴾ هذا للتكثير ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ

وَيَرْضَى ﴾[النجم:٢٦] ، الشفاعة ثابتة لا أنكرها ولا اتبرأ منها بل هو صلى الله عليه وسلم الشافع المشفّع وأرجو شفاعته؛ أرجو: أي من الله سبحانه وتعالى ، لأن شفاعته عليه الصلاة والسلام لمن يشفع له بإذن الله وبيد الله ، وهي ملك لله سبحانه وتعالى. وأرجو شفاعته : أي أسال الله عز وجل أن يجعله شفيعا لي يوم القيامة .

الآن بهذه الكلمتين «**لا أنكرها ولا أتبرا منها ،بل هو صلى الله عليه وسلم الشافع المشفّع وأرجو شفاعته**» تكون أزلت ما أراده من الشناعة على صاحب الحق .

ولو قال لك: تنكر جاهه ماذا تقول؟ أبرأ الى الله ان أنكر جاهه ، من الذي ينكر جاه النبي عند الله؟ إذا كان الله سبحانه وتعالى قال عن موسى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾[الأحزاب:٦٩] ، وقال عن عيسى: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾[آل عمران:٤٥] ، ونبينا عليه الصلاة والسلام جاهه عند الله أعظم جاه ، ومكانته عند الله أعظم مكانه ، ومنزلته عند الله أعظم منزله. من الذي ينكر مكانه وجاهه ومنزلته! لا أنكر ذلك.

«**ولكن الشفاعة كلها لله**»؛ انظر الى التوحيد ، الشفاعة كلها لله ، ما معنى الشفاعة كلها لله؟ أي ملكٌ لله. نبينا عليه الصلاة والسلام لما قال في الحديث الصحيح ((أعطيتُ الشفاعة)) من الذي أعطاه إياها ؟ مالكها رب العالمين سبحانه وتعالى. ((أعطيت الشفاعة)) : يعني أعطاني الله عز وجل الشفاعة. وفي الحديث الآخر في صحيح مسلم قال عليه الصلاة والسلام : ((لكل نبي دعوه مستجابة ، وإني ادَّخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، وإنها نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئا)) .

فقوله رحمه الله : «**ولكن الشفاعة كلها لله**» ضع على قوله (ولكن الشفاعة كلها لله) رقم واحد ، لأنه سيأتي أجوبه متسلسلة مترابطة بمجموعها هي تتعرى شبهة هؤلاء ، وكل واحده مبنية على ما قبلها.

«**ولكن الشفاعة كلها لله**» هذا أمر أول تبينه له؛ الشفاعة كلها لله ، كلها أيًا كانت ولمن كانت لله سبحانه تعالى، ومعنى «لله»: أي ملك له كما قال تعالى ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾[الزمر:٤٤] ، وباتفاق المفسرين من أهل الحق والبصيرة بكتاب الله اللام لام الملك ، ﴿ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾: أي ملك لله ، مثل قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾: أي هو المالك سبحانه وتعالى لما في السموات والأرض ، كل ما في السموات والأرض ملكه. ﴿لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾: أي الشفاعة كلها ملك لله ؛ هذا واحد الشفاعة كلها لله ، الدليل: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ .

هذه الآية وردت في سياق قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾[الزمر:٤٣-٤٤] ؛ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ﴾ الآن المقام إبطال ما عليه

المشركين من اتخاذ الشفعاء والأنداد ، ففي هذا السياق قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ أي الشفاعة كلها ملك لله سبحانه وتعالى ؛ قال الله جل وعلا ذلك في إبطال دعوى المشركين في اتخاذ الأنداد مع الله زاعمين أنهم شفعاء لهم عند الله فأبطل الله ذلك عليهم بقوله ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ ؛ فمن اتخذ ندًا مع الله تعالى يدعوه ويلتجئ إليه أيًا كان هذا الند ثم قال "أنا أريد بذلك أن يكون شفيعًا لي عند الله" ؛ اقرأ عليه قول الله ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ : أي الشفاعة كلها ملك لله . هذا الأمر الأول.

الامر الثاني: قل له «**ولا تكون إلا من بعد إذن الله**» ؛ أي لا يمكن لأحد كائنا من كان أن يشفع عند الله ابتداءً، لا يمكن لأحد كائنا من كان لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا ولي ولا غيرهم ، لا يمكن لأحد كائنا من كان أن يشفع عند الله ابتداءً ، بل لا أحد يشفع عند الله إلا إذا أذن الله له ، ولهذا نبينا عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين يخر يوم القيامة ساجدًا تحت العرش ويحمد الله بمحامد يعلمه الله إياها في ذلك الوقت ، ثم يقول له رب العالمين : ((ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفَّع)) . فهل يشفع ابتداءً ؟ أبدا . لا ، ليس أحد يشفع عند الله حتى أكرم الشفعاء وأعظمهم نبينا عليه الصلاة والسلام لا يشفع عند الله إلا من بعد إذن الله.

قال : «ولا تكون إلا من بعد إذن الله كما قال تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥] » هذا الأمر الثاني.

الأمر الثالث : «**ولا يُشفّع في احد إلا بعد أن يأذن الله فيه**» ؛ بعد أن يأذن الله فيه : أي في هذا المشفوع له ؛ والمراد أن يرضى الله عن المشفوع له ، قال تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

إذًا الآن مر علينا أمور ثلاثة في الشفاعة:

١. الشفاعة ملك لله ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤] .
٢. ولا أحد يشفع عند الله إلا إذا أذن الله له ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥] .
٣. الأمر الثالث : أنه لا احد يُشفع له عند الله إلا اذا رضي الله عنه ؛ رضاه سبحانه وتعالى عن المشفوع له ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

وجمع الله سبحانه وتعالى بين الإذن والرضى في قوله تعالى ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي للشافع ﴿وَيَرْضَى﴾ أي عن المشفوع له .

الأمر الرابع : قال «**وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾** [آل عمران:٨٥]» ، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يدركون هذه الحقيقة في باب الشفاعة؛ أن شفاعة النبي عليه

الصلاة والسلام لا ينالها كل أحد ، ولهذا جاء في صحيح مسلم أن أبا هريرة رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : «من أولى الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟» ماذا قال عليه الصلاة والسلام ؟ ((من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه)) ، لأن التوحيد أساس لابد منه ليكون العبد بذلك مؤهلًا لأن يشفع له الشفعاء يوم القيامة ، ومن يأتي يوم القيامة مشركًا متخذاً الانداد والشركاء بأيّ اسم كان وبأي صفه كانت ، من جاء على هذه الهيئة ليس أهلا لان يشفع له لأن الله لم يرضَ قوله ولا عمله . الأدلة دلت أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى إلا عن أهل التوحيد والدليل ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥] ، أيضا قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨] . واعتبر في هذا الباب قصة إبراهيم الخليل عليه السلام في صحيح البخاري ، قال عليه الصلاة والسلام : ((يلقى إبراهيم الخليل أباه يوم القيامة فيقول له: ألم أقل لك لا تعصني؟ قال: الآن لا أعصيك . قال فيقول إبراهيم : يا رب ألم تعدني ألا تخزني يوم يبعثون ، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد! فيقال له انظر إلى قدميك ، فينظر وإذا بذيخ -يعني تتحول هيئة والده إلى ذيخ ، والذيخ ذكر الضباع - ويؤخذ بقوائمه ويُطرح في النار)) . فالشاهد أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى إلا عن أهل التوحيد ، فكيف تُطلب الشفاعة بفعل ما يناقضها ويضادها!! قال: «**وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد**» ؛ هذا الأمر الرابع كما قال تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ .

«**فإذا كانت الشفاعة**» هذا تلخيص لما سبق ، يقول الشيخ : «**فإذا كانت الشفاعة كلها لله**» هذا واحد ، «**ولا تكون إلا من بعد إذنه**» اثنين ، «**ولا يشفع النبي صلى الله عليه ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه**» هذا الثالث ، الرابع «**ولا يأذن الله إلا لأهل التوحيد**». هذه أربعة أمور مهمة وفصول عظيمه وركائز متينة في موضوع الشفاعة تبينها له بالآيات كما بينها الشيخ رحمه الله .

«**فإذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون إلا من بعد إذنه ، ولا يشفع النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن الله إلا لأهل التوحيد؛ تبين لك ان الشفاعة كلها لله**» ؛ ماذا يُستفاد من هذا؟ إذا تبين له أن الشفاعة كلها لله عبر النقاط العديدة التي بينتها له؛ أنها ملك لله، وأنه لا يشفع أحد إلا بإذنه ، وأنه لا يُشفع إلا لمن رضي الله قوله وعمله ، وأن الله لا يرضى إلا عن أهل التوحيد . إذا تبين له ان الشفاعة كلها لله وتبينت له هذه الامور ماذا ينتج عن ذلك ؟ ما هي النتيجة الحتمية التي يقتضيها علمه بذلك ؟ ألا يلجأ في طلبها إلا الله ؛ وبهذا يظهر فساد شبهته.

ولهذا قال: «**تبين لك ان الشفاعة كلها لله وأطلبها منه فأقول**» هذا حال الموحد .

تقول له: «**واطلبها منه فأقول**»؛ وهذا من دقة بيان الشيخ رحمه الله لأنه يبين حال الموحد الذي يمشي على المنهج الصحيح والنهج السديد في باب الشفاعة ، "أنا لا أنكر الشفاعة" ، ثم تبين له حقيقة الشفاعة ، ثم تبين

له حالك يا من وفقك الله في هذا الباب بعيدًا عن ضلال أولئك تقول : «**وأطلبها منه فأقول اللهم لا تحرمني شفاعته**» ، أما هو فماذا يقول؟ لأنه لم يفهم هذه النقاط المبينة في القرآن يقول "يا رسول الله اشفع لي" طلبها من غير المالك ، المالك هو الله سبحانه وتعالى ، وهي ملك لله ، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع لأحد إلا إذا أذن الله له ، ولا يشفع إلا لمن رضي الله قوله ، والله لا يرضى إلا عن أهل التوحيد ؛ فالذي يريد الشفاعة يطلبها من المالك ، ولهذا يقول «**واطلبها منه فأقول**» ، لم يقل له "تبين لك أن الشفاعة كلها لله فاطلبها منه" ، وإنما قال: «**تبين لك ان الشفاعة كلها لله وأطلبها منه**» ؛ أي هذا حال الموحد الذي يفهم هذه الحقيقة ، فإن فهمتَ هذه الحقيقة واستقرت في قلبك وعملت بها كنت من أهل التوحيد فلم تطلبها إلا من الله كما هي حال أهل التوحيد .

قال : «**وأطلبها منه فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفِّعه فيَّ ، وأمثال هذا**» يعني وأمثال ذلك من العبارات التي تصدر من أهل التوحيد الذين لا يلجئون إلا إلى لله سبحانه وتعالى ، لا يدعون إلا الله ، لا يطلبون إلا من الله سبحانه وتعالى الشفاعة وغيرها ، النبي عليه الصلاة والسلام اعطي الشفاعة نعم ، لكن الشفاعة هذه نقاط وركائز دل عليها القرآن؛ إن فهمتها وتبينت لك وعملتَ بما تقتضيه صِرت من أهل التوحيد الذين لا يطلبون الشفاعة إلا من الله ، ولا يلتجئون في طلبها إلا إلى الله سبحانه وتعالى .

نقف عند هذا الحد ، والله تعالى أعلم وصل الله وسلم على رسول الله.